٢٦ - السيدة سلمى بنت عميس

الأخت المؤمنة

اسمها سلمى، والدها عُميس بن سعد[1]، والدتها هند بنت عوف، أختها أم المؤمنين ميمونة زوج النبي ﷺ، وأختها لبابة أم الفضل زوج العباس ﷺ، وأختها أسماء زوج جعفر بن أبي طالب ﷺ.

وتزوجت سلمى ﷺ أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء ﷺ.

وكفى بهؤلاء الأخوات فضلاً وصف رسول الله ﷺ لهنَّ بالإيمان، فالإيمان أول الفضائل وأعلاها منزلة، فقد روي عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الأَخَوَاتِ لَمُؤْمِنَاتٌ**»، وفي لفظٍ: «**الأَخَوَاتُ الأَرْبَعُ مُؤْمِنَاتٌ ميمونة، وأم الفضل ابنتا الحارث؛ وسلمى، وأسماء ابنتا عُمَيْسٍ**».

وكان لهنَّ أثرٌ بالغٌ في نشر الإسلام في أوساط النساء، وفي الدعوة إلى الله قولاً وعملاً وسلوكاً، فهنيئاً لهنَّ، ورَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ.

أنجبت سلمى لحمزة ابنته عُمارةَ، التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة، روى أبو داود، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُجَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: خَرَجَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَى مَكَّةَ فَقَدِمَ بِابْنَةِ حَمْزَةَ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَنَا آخُذُهَا، أَنَا أَحَقُّ بِهَا، ابْنَةُ عَمِّي وَعِنْدِي خَالَتُهَا، وَإِنَّمَا الْخَالَةُ أُمٌّ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَحَقُّ بِهَا ابْنَةُ عَمِّي، وَعِنْدِي ابْنَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهِيَ أَحَقُّ بِهَا، فَقَالَ زَيْدٌ: أَنَا أَحَقُّ

(1) في الاستيعاب: «عميس بن مالك بن النعمان»، وفي سيرة ابن هشام: «عميس بن سعد بن الحارث».

بِهَا، أَنَا خَرَجْتُ إِلَيْهَا، وَسَافَرْتُ، وَقَدِمْتُ بِهَا فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**وَأَمَّا الْجَارِيَةُ فَأَقْضِي بِهَا لِجَعْفَرٍ، تَكُونُ مَعَ خَالَتِهَا وَإِنَّمَا الْخَالَةُ أُمٌّ**».

وَعَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هَانِئٍ وَهُبَيْرَةَ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ مَكَّةَ، تَبِعَتْنَا بِنْتُ حَمْزَةَ، تُنَادِي: يَا عَمُّ، يَا عَمُّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: دُونَكِ، بِنْتَ عَمِّكِ، فَحَمَلَتْهَا، فَجَاءَ جَعْفَرٌ وَقَالَ: ابْنَةُ عَمِّي، وَخَالَتُهَا تَحْتِي، فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا وَقَالَ: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**»[1].

ولقيت سلمى أياماً عصيبة في بدء الدعوة، فقد فارقتها أختها أسماء مهاجرة مع زوجها جعفر إلى الحبشة فراراً بدينهما من إيذاء قريش للمسلمين، غير أنه قرَّت عيناً بعد إسلام زوجها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

إسلام زوجها

ولكن كيف أسلم حمزة؟ يقول ابن هشام في سيرته: عن ابن إسحاق: حدثني رجل مِنْ أَسْلَمَ كان وَاعِيَةً: أن أبا جهلٍ مَرَّ برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلِّمه رسول الله ﷺ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان بن عمرِو بن كعبِ بن سعدِ بن تَيْمِ بن مُرَّةَ في مسكنٍ لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادٍ من قريش عند الكعبة، فجلس معهم.

فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشِّحاً قوسه، راجعاً من قَنَصٍ له، وكان صاحب قَنَصٍ يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصلِ إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على نادٍ من قريش إلاَّ وقف وسلَّم وتحدَّث معهم، وكان أعزَّ فتًى في قريش، وأشد

(1) رواه: أبو داود/ كتاب: الطلاق/ باب: من أحق بالولد/ برقم: (1940).

شكيمة، فلما مَرَّ بالمولاة وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عُمارةَ، لو رأيتَ ما لقي ابنُ أخيكَ محمدُ آنفاً من أبي الحكم بن هشام، وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبَّه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه، ولم يكلِّمه محمدٌ ﷺ، فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أَحَدٍ مُعِدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس فضربه بها، فشجَّه شجَّةً مُنكَرَةً، ثم قال له: أتشتمه، وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فَرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت، فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهلٍ؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارةَ، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً.

وتَمَّ حمزة رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[1].

وزاد غير ابن إسحاق في إسلام حمزة أنه قال: لما احتملني الغضب، وقلت: أنا على قوله، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبِتُّ من الشك في أمر عظيم، لا أكتحل بنوم، ثم أتيت الكعبة، وتضرَّعت إلى الله سبحانه أن يشرح صَدري للحق، ويُذْهِبَ عني الريب، فما استتمت دعائي حتى زاح عني الباطل، وامتلأ قلبي يقيناً، فغدوت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يُثَبِّتَنِي الله.

وقال حمزة حين أسلم أبياتاً منها:

حَمَدْتُ اللهَ حِيْنَ هَدَى فُؤَادِي ... إلَى الإِسْلاَمِ وَالدِّيْنِ الحَنِيْفِ
لِدِيْنٍ جَاءَ مِنْ رَبٍّ عَزِيْزٍ ... خَبِيْرٍ بِالعِبَادِ بِهِمْ لَطِيْفِ
إِذَا تُلِيَتْ رَسَائِلَهُ عَلَيْنَا ... تَحَدَّرُ دَمْعُ ذِي اللُّبِّ الحَصِيْفِ

(1) سيرة ابن هشام (1/ 328، 329).

رَسَائِلُ جَاءَ أَحْمَدُ مِنْ هُدَاهَا بِآيَاتٍ مُبَيَّنَةِ الحُرُوفِ

وعاشت سلمى مع زوجها حمزة في واحة الإسلام الظليلة يعبَّان كؤوس السعادة عبّاً، كان حمزة ممتلئاً قوة وشباباً، وقد كساه الإسلام حلة من المهابة والوقار حتى إن أبا جهلٍ، على الرغم مما عُرف عنه من السَّفَهِ والطيش هاب - حين شجَّه حمزة - أن يرد عليه بضربةٍ، أو حتى بكلمةٍ.

لقد أمدَّ الإسلام حمزة بقوة إلى قوته، ومنحه هيبة إلى هيبته، وبات الذين كانوا يحسبون له حساباً واحداً يحسبون له ألف حسابٍ.

هجرتها إلى المدينة

ولما أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة، هاجرت سلمى مع زوجها حمزة إلى المدينة، وبعد وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة كان أول ما صنعه الأمر ببناء المسجد النبوي الشريف، والحجرات التي ستسكن فيها أمهات المؤمنين - رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ - ثم كانت غزوة بدرٍ، حيث أبلى حمزة أحسن بلاء، وقتل من المشركين نفراً كان من أبرزهم شَيْبَةُ بْنُ رَبِيْعَةَ، ثم ذفَّفَ[1] مع علي بن أبي طالب على عُتْبَةَ بْنَ رَبِيْعَةَ بعد أن جرحه عُبَيْدَةُ بن الحارث ﷺ، وحقَّق المسلمون يوم بدر أعظم انتصار.

وفقدت قريش سبعين من أعظم قادتها، وأُسر لها سبعون، فقرَّرت أن تثأر لقتلاها يوم أُحُد، وكانت هند بنت عتبة قد قُتل أبوها وعمها وأخوها في بدر فأغرت غلاماً حبشياً يُدعى وحشياً بجائزةٍ مجزيةٍ إن هو قتل لها حمزة ثأراً لأبيها وعمها وأخيها الذين قتلوا يوم بدر.

وكان وحشي يجيد استعمال الحربة، فنزل إلى ساحة القتال وراح يرصد تحرُّك حمزة فرآه يفتك بالمشركين حتى إذا أصبح في مرمى حربته سدَّدها إليه بقوة، فاستقرت أسفل بطنه، وسقط سيد الشهداء صريعاً؛

(1) ذفَّفَ: أجهز.

وجاءت هند فبقرت بطنه، واستخرجت كبده، فقضمت منها ولاكتها ولكنها لم تُسِغها فلفظتها.

ثم مثَّلت بجثته فَصَلَمَتْ أُذُنيه، وَجَدَعَتْ أنفه، ولما رأى رسول الله ﷺ ما حلَّ بعمه حمزة حزن عليه كثيراً، واعتدَّت سلمى ﵂ حتى إذا حلَّت تزوَّجها شدَّاد بن الهاد الليثي فولدت له عبد الله، وظلَّت سلمى مطيعةً لربها ولرسوله ﷺ، مواظبةً على عبادتها، حتى دُعيت إلى لقاء الله فلبَّت دعواه، رحمها الله تعالى، وأحسن قبولها.